الإدراكات الفطريّة وأثرها في المعرفة الدينيّة

أحمد أبو ترابي *

الخلاصة

يُعدُّ تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة من المواضيع المهمّة في مجال البحث عن الأمور الفطريّة، ومجال البحث في المعارف الدينيّة. ونحن في هٰذا المقال نسعى إلى إيضاح مكانة الأمور الفطريّة في الدين، وتأثيرها في معارف الدين. ومن أجل الوصول إلى هٰذا الهدف تطرّقنا أوّلًا لبحث المفاهيم وإيضاح المصطلحات الأصليّة في هٰذا الموضوع، والأقسام والأنواع المرتبطة بهٰذه المفاهيم، ثمّ بيّنّا رؤيتنا في مجال المصاديق الكلّيّة والأمور الفطريّة، ثمّ دخلنا في دراسة تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة، منهج تحليليٌ وعقلاني، ولٰكن من أجل بيان المقدّمات الضروريّة أو تأييد مضمون البحث، أستفدنا أحيانًا من المنهج النقليّ. وقد توصّلنا في هٰذا البحث إلى أنّ العلم الحضوريّ بالله ومعارف الدين ـ في الموارد الّتي يمكن إثباتها ـ لا يمكن تحقّقه إلّا عن طريق العلم الفطريّ. وكذٰلك توصلّنا إلى أنّ العلوم والميول الفطريّة المرتبطة بالتعاليم الدينيّة تلعب الدور الأهمّ في التصديق بالدين، والإيمان بالعقائد الدينيّة، والعمل بالدين، والوصول إلى الكمالات الأخلاقيّة المطلوب دينيًّا.

الكلمات المفتاحيّة: *المعرفة الدينيّة، التعاليم الدينيّة، الأمور الفطريّة، آية الميثاق، آية الفطرة، العلم الحضوريّ، العلم الحصوليّ.*

---

(1) أحمد أبو ترابي، إيران، أستاذٌ مساعدٌ في الفلسفة الإسلاميّة، وعضو الهيئة العلميّة في مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والأبحاث. Email: hmad.abutorabi@gmail.com

The influence of innate matters on religious knowledge

Ahmad Abutorabi, Assistant Professor in Philosophy, and Faculty member of Imam Khomeini Institution for Education and Research, Iran.

Email: hmad.abutorabi@gmail.com

Summary

The influence of innate matters on religious knowledge is one of the important topics in the study of innate matters and religious knowledge. In this article, we try to show the position of innate matters in religion, and their effect on religious knowledge. In order to get to this goal, we first discussed the concepts and explained the basic terms used in this topic, besides supplementary topics related to these concepts. After that, we explained our viewpoint on innate matters and general topics relevant. Then, we discussed the impact of innate matters on religious knowledge in an analytical, rational approach. However, in order to show the necessary introductions or to support the content of the study, we, sometimes, made use of quotations. In this study, we have got to some results that knowledge knowledge by presence of God and knowledge of religion - in the points that can be proved - can only be achieved through innate knowledge. We have also got that innate sciences and tendencies related to religious teachings can play the most important role in having faith in religion and in religious beliefs, acting according to religion, and reaching ethical perfection that is religiously recommended.

Keywords: religious knowledge, religious teachings, innate matters, the verse of covenant, the verse of innateness, knowledge by presence, knowledge by acquisition.

المقدّمة

إنّ البحث عن الفطرة والأمور الفطريّة له أهمّيّةٌ خاصّةٌ، فالأمور الفطريّة من المواضيع المشتركة بين فروعٍ كثيرةٍ من العلوم الإنسانيّة، كعلم الكلام، والفلسفة، وعلم النفس، والعلوم التربويّة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع؛ ولهٰذا البحث سابقةٌ تاريخيّةٌ طويلةٌ، والاختلاف العميق بين الفلاسفة الغربيّين الكبار في موضوع "العلوم الفطريّة" يحكي عن أهمّيّة هٰذا الموضوع.

[ابوترابی، علوم فطری نزد فیلسوفان غرب و اندیشمندان مسلمان، ص 33 - 35]

هٰذا بالإضافة إلى أنّه من خلال مراجعة تاريخ البحث عن الأمور الفطريّة يمكن الوصول إلى أنّ القبول بالأمور الفطريّة في تاريخ هٰذا الموضوع اتّسم بعلاقةٍ واضحةٍ مع الإيمان بالله والتديّن، وقد تبلورت هٰذه العلاقة بين الدين والفطرة في التعاليم الإسلاميّة بنحوٍ خاصٍّ. وقد أكّدت كثيرٌ من آيات القرآن الكريم والروايات على فطريّة الدين، وخاصّةً عقيدة التوحيد. وذٰلك من قبيل آية الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: 30] وآية الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: 172] اللتان

رأى فيهما البعض دليلًا على فطريّة كلّ المعارف الدينيّة أو بعضها. [ابوترابی، علوم فطری نزد فیلسوفان غرب و اندیشمندان مسلمان، ص 384 - 436]. هٰذا بالإضافة إلى أنّه استنادًا إلى بعض الروايات يُعلم أنّ واقعة "عالم الذرّ" لو لم تحدث لما عرف أحدٌ ربّه بشخصه. [العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، ج 2، ص 43؛ ابن بابويه القمّيّ، التوحيد، ص 330]

وقد دلّت رواياتٌ أخرى على جميع بني آدم مسلمون بفطرتهم لولا تأثير آبائهم وأمّهاتهم غير المسلمين فيهم. [الطبرسيّ، مجمع البيان لعلوم القرآن، ج 8، ص 63]

وبملاحظة أهمّيّة موضوع الأمور الفطريّة، وخاصّةً من جهة ارتباطه بالدين الإسلاميّ، يمكن القول بأنّ موضوع هٰذا المقال (تأثير الفطرة في المعرفة الدينيّة) يعدّ أساسيًّا وذا أهمّيّةٍ خاصّةٍ بين المواضيع المرتبطة بمعارف الدين.

أصول البحث ومبانيه ومراحله

إنّ دراسة تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة في هٰذا المقال يتمّ في ستّ مراحل. ونطرح في المراحل الأربع الأولى مقدّمات البحث، وفي المرحلة الخامسة نتطرّق للبحث بشكلٍ غير مباشرٍ، وفي المرحلة السادسة ندخل في صلب البحث بشكلٍ مباشرٍ. والمراحل الستّ هي:

أ ـ التعرّف على مفهوم مصطلح المعرفة وبيان معانيه وأنواعه.

ب ـ التعـرّف على مفهـوم الديـن، وبيـان المـراد مـن الديـن في هٰـذا المقـال، وبيـان أجـزاء الديـن.

جـ ـ بيان أصول الأمور الفطريّة ومبانيها.

د ـ استعراض مصاديق الأمور الفطريّة وإثباتها.

هـ ـ التعـرّف على مفهـوم التأثـير، وبيـان أنـواع التأثـير والمـراد مـن تأثـير الأمـور الفطريّـة في المعرفـة الدينيّـة.

و ـ تأثير الأمور الفطريّة في المعارف الدينيّة.

مفهوم مصطلح المعرفة

إنّ إحـدى المقدّمـات الضروريّـة للدخـول في بحـث "تأثـير الأمـور الفطريّـة في المعرفـة الدينيّـة" هي العلـم بمفهـوم المعرفـة، والإشـارة إلى معـاني هٰـذا المصطلـح وتقسـيماته.

إنّ للمعرفـة معـاني كثـيرةً في اللغـة، منهـا اسـتعمالها بمعـنى "إدراك الـشيء بتفكّـرٍ وتدبّـرٍ" [الراغـب الأصفهـانيّ، المفـردات في غريـب القـرآن، ذيـل "عَـرِف"]، وأحيانًـا تسـتعمل في مطلـق العلـم والمعرفـة [مجمـع اللغـة العربيّـة، المعجـم الوسـيط، ذيـل "عَـرِف"]، ومقصودنـا مـن المعرفـة في هٰـذا المقـال هـو المعـنى الثـاني، وهـو المـرادف للعلـم، ومـن هنـا سـوف نسـتعمل العلـم والمعرفة بمعـنًى واحـدٍ.

أقسام المعرفة

تنقسم المعرفة (العلم بالمعنى العامّ) إلى حصوليّةٍ وحضوريّةٍ. والمراد من العلم الحصوليّ هو العلم الحاصل عن طريق المفهوم، ومحلّه ذهن الإنسان، والمراد من العلم الحضوريّ هو ذٰلك النوع من الإدراك الّذي يتعلّق بالمعلوم نفسه ووجوده الواقعيّ بنحوٍ مباشرٍ [الطباطبائيّ، نهاية الحكمة، ص 255]، وفي هٰذا البحث نتعرّض لدراسة كلا القسمين من المعرفة.

كما أنّ العلم الحصوليّ ينقسم أيضًا إلى قسمين: تصوّريٍّ وتصديقيٍّ. والمراد من التصوّر هو حصول صورةٍ ذهنيّةٍ دون حكم النفس إثباتًا أو نفيًا، والمراد من التصديق هو الصورة الذهنيّة مع حكم النفس بالإثبات أو النفي [الطباطبائيّ، نهاية الحكمة، ص 269 ؛ الشيرازيّ، رسالةٌ في التصوّر والتصديق، ص 70]، والتصديق في مقابل "التصوّر" يسمّى أيضًا "التصديق بالاصطلاح المنطقي".

جدير بالذكر أنّ مصاحبة الحكم للتصوّر الذهنيّ يمكن تحليله بأشكالٍ متنوّعةٍ، أكثرها شيوعًا هو أنّ حقيقة التصديق هي "الحكم"، بمعنى إذعان النفس، ومصاحبة الحكم للصورة الذهنيّة بمعنى أنّ الحكم قد تعلّق بتلك الصورة الذهنية (القضيّة). ومن هنا ذهب نصير الدين الطوسيّ إلى أنّ التصديق هو فهم مطابقة القضيّة للواقع. [الطوسيّ، تعديل المعيار، ص 139 و140]

معنى الدين

الديـن في اللغـة له جـذرٌ واحـدٌ وهـو بمعـنى الطاعـة والانقيـاد. وقـد اسـتعمل اسـتعمالاتٍ متنوّعـةً بلحـاظ هٰـذا المعـنى [ابـن فـارس، معجـم مقاييـس اللغـة، ذيـل مفـردة "ديـن"]، ومـن هٰـذه المعـاني الجـزاء، فقـد ورد في الآيـة الشريفـة: ﴿مَالِـكِ يَـوْمِ الدِّينِ﴾[سـورة الفاتحـة: 4] بهٰـذا المعـنى، وأحيانًـا يـأتي بمعـنى "الشريعـة" و"الملّـة" [الراغـب الأصفهـانيّ، المفـردات في غريـب القـرآن، ذيـل "ديـن"]. وقـد ورد الديـن في كثـيرٍ مـن الآيـات القرآنيّـة بهٰـذا المعـنى مـن قبيـل الآيـة الشريفـة: ﴿لَكُـمْ دِينُكُـمْ وَلِيَ دِيـنِ﴾ [سـورة الكافـرون: 6]. واسـتعمال الديـن بالمعـنى الأخـير مصطلـحٌ في كثـيرٍ مـن العلـوم مـن قبيل علـم الـكلام، وفلسـفة الديـن. وهٰـذا الاصطـلاح أيضًـا له اسـتعمالاتٌ مختلفـةٌ، فأحيانًـا يـأتي بمعـنى مطلـق الديـن سـواءٌ كان إلٰهيًّـا أم بشريًّـا، وأحيانًـا يُسـتعمل بمعـنى الأديـان الإلٰهيّـة فقـط.

والتعريـف الشـامل الّذي يمكنـه أن يضـمّ اسـتعمالات المعـنى الثـاني كلّهـا هـو عبـارةٌ عـن أنّ «الديـن مجموعـةٌ مـن الاعتقـادات، والأوامـر العمليّـة الّـتي تُحقّـق السـعادة الحقيقيّـة للإنسـان» [مصباح و محمـدى، معرفـت شـناسى، ص 199 و200]. وكلّ مـن يتّبـع دينًـا خاصًّـا يـدّعي هٰـذا الادّعاء وهـو أنّ دينـه يتمتّـع بهٰـذه المـيزة، أي تحقيـق السـعادة الحقيقيّـة، وبمـا أنّنـا نـرى أنّ المصـداق الواقـعيّ والنهـائيّ لهٰـذا التعريـف هـو الديـن الإسـلاميّ الّذي جـاء بـه خاتـم الأنبيـاء، فـإنّ مرادنـا مـن الديـن في عبـارة "المعرفـة الدينيّـة" هـو هٰـذا المصـداق مـن الديـن. ومـن هنـا ومـا بعدهـا سـوف

نستعمل الدين بمعنى الدين الإسلاميّ، إلّا إذا صرّحنا أو ذكرنا قرينةً على خلاف ذٰلك.

أجزاء الدين

ينقسم الدين إلى قسمين: الاعتقادات، والأحكام العمليّة (ما يجب وما لا يجب) [المصدر السابق]. والأحكام العمليّة في الدين تُقسَّم عادةً إلى قسمين: الأحكام الفقهيّة، والأحكام الأخلاقيّة، ومن هنا فإنّهم عادةً ما يقسّمون الدين إلى ثلاثة أقسامٍ [حسين زاده، درآمدى بر معرفت شناسى و مبانى معرفت دينى، ص 82]، ومرادنا من الدين في المعرفة الدينيّة هو أقسامٌ مختلفةٌ منه، وسوف نبيّن المقصود منها بحسب ما يقتضيه بحثنا في حينه.

المراد من المعرفة الدينيّة

من أجل بيان المراد من المعرفة يجب أوّلًا التنبيه إلى أنّ المعرفة (أو المعارف الدينيّة) يمكن استعمالها بمعنيين: فأحيانًا يكون المراد منها «التعاليم الدينيّة» نفسها، وهي الاعتقادات والأحكام الدينيّة نفسها، وأحيانًا بمعنى ما يفهمه الناس من التعاليم الدينيّة، وهي فهم الدين. وهٰذان المعنيان رغم اختلافهما، لٰكن بينهما ارتباطٌ كبيرٌ، وأحيانًا يصعب جدًّا التفكيك بينهما. ومن أجل وضع حدودٍ دقيقةٍ للبحوث الواردة في هٰذا المقال، نؤكّد أنّ تركيزنا الأصليّ فيه على إدراك الإنسان للتعاليم الدينيّة، لا التعاليم الدينيّة نفسها. نعم،

نتطـرّق للتعاليـم الدينيّـة المرتبطـة بالأمـور الفطريّـة مـن بـاب المقدّمـة للبحـث وبمقـدار مـا يتطلّبـه البحـث منهـا.

وبملاحظـة مـا تقـدّم لحـدّ الآن في معـنى المعرفـة وأنواعهـا، يمكـن القـول بـأنّ المـراد مـن المعرفـة الدينيّـة هـو: «أحـدُ أنـواع العلـم والمعرفة المتعلّقـة بالديـن»، وفي ضـوء هٰـذه النقطـة يمكـن تقسـيم المعرفـة الدينيّة إلى الحضوريّـة والحصوليّـة، والعلـم الحصـوليّ الديـنيّ يمكـن تقسـيمه إلى التصـوّريّ والتصديـقيّ.

وفي ضــوء النصــوص الدينيّــة وعلى أســاس الاصطلاحــات العقليّــة والفلســفيّة، يمكــن ملاحظــة مرحلــةٍ أخــرى مــن المعرفــة الدينيّــة، يصـل صاحـب المعرفـة في هٰـذه المرتبـة ـ بمـا يتمتّـع بـه كمـالٍ ـ إلى حقائـق في العالـم لا ينالهـا سـائر النـاس حـتّى المؤمنـين منهـم. والمعرفـة الملازمـة لهٰـذه المرتبـة مـن كمـال النفـس، يمكـن أن تكـون معرفـةً حضوريّـةً وقـد سُـميّت هٰـذه المرتبـة بالمعرفـة الحقيقيّـة. [الشـيرازيّ، شرح أصـول الـكافي، ج 2، ص 123]

ويطابـق هٰـذا المعـنى مـن المعرفـة مـا أطلـق عليـه الفلاسـفة عنـوان القـوّة القُدسـيّة [ابـن سـينا، الشـفاء، النفـس، ص 340]، وربّمـا يشـير كلام الإمـام الصـادق عليه السلام في قـوله: «العلـم نـورٌ يقذفـه الله في قلـب مـن يشـاء مـن عبـاده» [المجلسيّ، بحـار الأنـوار، ج 1، ص 226 ؛ يـزدى، بـه سـوى خودسـازى، ص 140] إلى هٰـذه المرحلـة مـن الكمـال الأخـلاقيّ والديـنيّ للنفـس.

المراد من «التصديق» في المعرفة الدينيّة

التصديق بالاصطلاح المنطقيّ ـ وهو ما يقابل التصوّر ـ هو إذعان النفس بالقضيّة بعد حكمها وترجيحها لأحد طرفي النقيض فيها. وأمّا في الاصطلاح الدينيّ ـ أي في مجال المعارف الدينيّة ـ فللمعرفة التصديقيّة معانٍ أخرى أيضًا يجب الالتفات إليها في بحث تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة. فأحيانًا يراد من التصديق الإيمان والالتزام القلبيّ بالواقع الّذي تحكي عنه القضيّة الدينيّة. والتصديق بهٰذا المعنى مرادفٌ لمصطلح الإيمان المستعمل في المعارف الدينيّة [الراغب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ذيل «آمن»]، ويستعمل في مقابل الكفر. وبناءً على هٰذا فإنّ التصديق في الاصطلاح المنطقيّ يختلف عن الإيمان في الاصطلاح الدينيّ. نعم، الايمان بحاجةٍ إلى تصديقٍ منطقيٍّ؛ لأنّه شرطٌ لازمٌ لتحققه. ومن بين الاختلافات الأساسيّة بين التصديق بالمعنى المنطقيّ، والإيمان بالمعنى الدينيّ، هو أنّ التصديق أمرٌ غير اختياريٍّ ولا إراديٍّ. لٰكنّ الإيمان أمرٌ اختياريٌّ وإراديٌّ. أي أنّه اذا توفّرت المقدّمات اللازمة لفهم الصدق بقضيّةٍ، فإنّ الإنسان سوف يحكم بصحّة تلك القضيّة شاء أم أبى، لٰكنّه يستطيع أن لا يؤمن بمفاد تلك القضيّة، كما يصرّح القرآن الكريم بذٰلك حول آل فرعون إذ يقول: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل: 14]. وعلى الرغم من أنّ الإيمان أيضًا لا يرافقه العمل بالضرورة، إلّا أنّ هناك

مراتب من الايمان لا ينفكّ العمل عنها. والتمتّع بهٰذه المرتبة من المعرفة يرافقها إيمانٌ أقوى وتقوى أشدّ.

مفهوم «الفطرة» و«الفطريّ»

أ ـ الفطرة في اللغة

إنّ كلمة "فِطرة" مأخوذةٌ من مادة فَطَرَ. يذهب أحمد بن فارس إلى أنّ: «فطر: الفاء والطاء والراء... أصلٌ صحيحٌ يدلّ على فتح شيءٍ وإبرازه» [ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ذيل "فطر"]، ويرى ابن منظور أنّ أصل فَطَرَ بمعنى الشقّ [ابن منظور، لسان العرب، ذيل "فطر"]، وأمّا الراغب الأصفهانيّ فيرى أنّه بمعنى "الشقّ طولًا"، [الراغب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ذيل "فَطَرَ"]. وهٰذان المعنيان قريبان جدًّا من المعنى الأوّل وهو الفتح والشقّ، ويرجعان إليه.

كما أنَّ «خَلَقَ» من جملة المعاني المأخوذة من مادّة «فَطَرَ» وترجع إلى هٰذه المعاني، ومن هنا ذهبوا إلى أنَّ "فَطَرني" في الآية الشريفة ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الزخرف: 27] بمعنى "خلَقني" [ابن منظور، لسان العرب، ذيل «فطر»].

كما أنّ بعض اللغويّين رأوا بأنّه قد أُشرِب "الإبداع" في معنى "فَطَرَ" فقد صرّح قائلًا بأنّ: «الفطرة ابتداء الخِلقة» [الطبرسيّ، مجمع البيان لعلوم القرآن، ج 4، ص 16]؛ ولهٰذا ذهب إلى أنَّ فَطَرَ بمعنى الابتداع

والاختراع أيضًا. [ابن الأثير، النهاية، ذيل «فطر»؛ الراغب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ذيل "فطر"]

و"فِطْرة" مصدرٌ نوعيٌّ، وهٰذا المصطلح استعمل في القرآن الكريم مرّة واحدةً [سورة الروم: 30]، وعلى أساس الإطار الأدبيّ والجذر اللغويّ، وطبقًا للاصطلاح، فإنّ هٰذا المصدر يبيّن ميزةً خاصةً في خلق الإنسان لها علاقةٌ بالدين. [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 3، ص 282؛ الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 183 و184]

ب ـ الفطرة في الروايات

أهمّ استعمال للفطرة في الروايات ما ورد في الرواية النبويّة المشهورة: «كلّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة، حتّى يكون أبواهُ يُهوّدانِه أو ينصّرانه» [الطبرسيّ، مجمع البيان لعلوم القرآن، ج 8، ص 63؛ المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 3، ص 281؛ ج 97، ص 65].

ولا ريب أنّ المراد من الفطرة في هٰذه العبارة هو أنّ الإنسان يكون بحسب فطرته يؤمن بالحقّ الّذي جاء به الإسلام، ولٰكنّ أبويه يعلّمانه ويربّيانه على الاعتقاد باليهوديّة أو النصرانيّة بقرينة يُهوّدانِه... إلخ. والروايات الأخرى الّتي استعمل فيها مفهوم الفطرة تنسجم مع هٰذا المعنى [الطريحيّ، مجمع البحرين، ذيل "فَطَرَ"]. وعليه فإنّ الفطرة في الآيات والروايات واردة في معنى الخِلقة الّتي لم يُتلاعب بها، والّتي تمتلك معرفة الحقّ والإيمان والقابليّة والانسجام مع تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف.

جـ ـ الفطرة والفطريّ في الاصطلاح

مصطلح الفطريّ مستعملٌ في مختلف العلوم في ثمانية معانٍ وهي:

أ ـ البدهيّ بالمعنى العامّ. [السهروردي، حكمة الإشراق، ج 2، ص 18]

ب ـ البدهيّ الأوّليّ. [الشيرازيّ، درّة التاج، ص 597]

جـ ـ فطريّ القياس. [ابن سينا، البرهان، ج 3، ص 64]

د ـ الارتكازيّ (العام).

هـ ـ الجبروت. [النسفيّ، الإنسان الكامل، ص 60 و61 و168]

و ـ العلم بالفعل الواعي القبليّ.

[Dancy (ed), A. Companion to Epistemology, p. 216; Lock, An Essay Concerning Human understanding, Book I, Ch. II, p. 49]

ز ـ الفطرة بالمعنى العام، بمعنى الأمور المودعة مع الإنسان في خلقته.

ح ـ الفطرة الدينيّة. [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 195 – 199]

والمراد من "أمور الإنسان الفطريّة" هو: الأمور المودعة مع الإنسان في خلقته، أي العقل والبرهان، والحسّ والتجربة، والتصرّفات الذهنيّة في الصور، والتعليم والتعلّم، وجهاد النفس، وهي أمورٌ لم تحصل للإنسان عن طريق التربية والتلقين، بل ترجع إلى أصل خلقة الإنسان.

ومرادنا من الفطريّ في هٰذا المقال المعنيين الأخيرين من معانيه

المتعـدّدة. أي الأمـر الفطـريّ بالمعـنى العـامّ، والأمـر الفطـريّ المرتبـط بالديـن وهـو مـا تكلّمنـا عنـه فيمـا سـبق.

وقـد اخترنـا هٰـذا المعـنى لسـببين، الأوّل: لأنّـه المعـنى المتبـادر مـن مصطلـح "فطـريّ"، والثـاني: لأنّـه محـلّ الـنزاع بـين الموافقـين والمخالفين في بحـث الفطـرة، والشـواهد الروائيّـة في تفسـير آيـة الفطـرة، وآيـة الميثـاق تؤيّـد هٰـذا المعـنى.

الفطريّ والغريزيّ

هٰـذا المعـنى مـن الفطـريّ يـأتي بالمعـنى الغريـزيّ اللغـويّ نفسـه. وأمّـا الأمـور الغريزيّـة بالمعـنى الخـاصّ فـهي مختصّـةٌ بالوجـه المشـترك بـين الإنسـان والحيـوان، وبعبـارةٍ أخـرى الأمـور الغريزيّـة في الإنسـان هي خصائـص فطريّـةٌ مرتبطـةٌ بالبُعـد الحيـوانيّ مـن الإنسـان، وترجـع جذورهـا إلى النفـس الحيوانيّـة في الإنسـان. وأمّـا الفطريّـة بالمعـنى الاصطـلاحيّ الأكـثر شـيوعًا، فـهي تختـصّ بالأبعـاد الإنسـانيّة في الإنسـان. [ابوتـرابی، اصـول و مبـانی امـور فطـری، ص 102 - 120]

خصائص الأمور الفطريّة

عادةً مـا تُذكـر للأمـور الفطريّـة ثـلاث خصائـص وهي: أنّهـا غـير اكتسـابيّةٍ، والشـموليّة، وثباتهـا، وعـدم إمكانيّـة وقـوع التغـير فيهـا. [الخمينـيّ، چهـل حديـث، ص 154 و155؛ يـزدی، آمـوزش فلسـفه، ج 2، ص 358؛ جـوادی آمـلی، فطـرت در قـرآن، ص 24 - 28]

1 ـ عـدم اكتسـابيّة الأمـور الفطريّـة: مصطلـحٌ "غـير اكتسـابيٍّ" أيضًـا له معـانٍ مختلفـةٌ في مصـادر العلـوم العقليّـة[1]. والمعـنى المختـار في هٰـذا المقـال هـو مصاحبـة الأمـر الفطـريّ للخِلقـة. وهٰـذه الخاصّيّـة هي عـرضٌ تحليـليٌّ لمفهـوم الفطـريّ، أي المعـنى المختـار لعـدم الاكتسـاب المـرادف للفطـرة هـو أصـل الخِلقـة.

2 ـ شـموليّة الأمـور الفطريّـة: بملاحظـة كـون المـراد مـن الأمـور الفطريّـة في هٰـذا المقـال هي الخصائـص غـير الاكتسـابيّة لنوع الإنسـان، وعليـه تكـون هٰـذه الخصائـص شـاملةً لأفـراد النـوع كلّهـم.

3 ـ عـدم إمكانيّـة التغـيّر في الأمـور الفطريّـة: إنّ إمكانيّـة التغـيُّر يمكـن اسـتعمالها في معـنًى عامٍّ يشـمل "عـدم الـزوال" وكذٰلـك بمعـنى "فقـدان أيّ شـدّة أو ضعـفٍ"، لٰكـن في الأمـور الفطريّـة تسـتعمل فقـط في المعـنى الأوّل أي عـدم الـزوال؛ لأنّ الأمـور الفطريّـة يمكـن أن تشـتدّ أو تضعـف بسـبب بعـض الموانـع

(1) عدم الحاجة إلى التأمّل والفكر [ابن سـينا، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، ص 7؛ الشـفاء، البرهان، ص 51]. عدم الحاجة إلى الاسـتدلال [الطوسيّ، تجريد المنطق، ص 53]. عدم الحاجة إلى اكتسـاب الحدّ الوسط [ابن سينا، الإشـارات والتنبيهات، ج 1، ص 214]. عدم الاحتياج إلى الاكتسـاب الرسميّ [الآمليّ، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص 492 و472 و506]. عدم الاحتياج إلى مجاهدة النفس [الشـيرازيّ، الحكمة المتعالية في الأسـفار العقليّـة الأربعة، ج 7، ص 326 و327]. عدم الاحتياج إلى أيّ اكتسابٍ.

خصائص أخرى للأمور الفطريّة

كلّ ما تقدّم بيانه حول الأمور الفطريّة هي خصائص أساسيّةٌ، وإثباتيّةٌ، ومعروفةٌ لهذه الأمور، وأمّا إذا أردنا الدخول في مجال الإجابة عن بعض الشبهات، وخاصّةً شبهات الفلاسفة الغربيّين حول الأمور الفطريّة الدينيّة والأخلاقيّة، فحينئذٍ يجب الإشارة أيضًا إلى ثلاث خصائص سلبيّةٍ للأمور الفطريّة، وفي الغالب لم يبحث عنها الفلاسفة بشكل واضحٍ. ولهذه الخصائص عبارةٌ عن إمكانيّة عدم الوعي بالأمور الفطريّة، وعدم وضوحها، وعدم كونها **بالفعل.** [انظر: ابوترابی، اصول و مبانی امور فطری، ص 36]**.**

تقسيمات الأمور الفطريّة وأقسامها

كذٰلك فإنّ أحد الأسس المهمّة لهذا البحث هو فهمنا ومرادنا من أقسام الأمور الفطريّة، فهناك تقسيماتٌ مختلفةٌ للأمور الفطريّة مذكورةٌ في المصادر المتقدّم ذكرها[1].

أشهر أقسام الأمور الفطريّة عبارةٌ عن: الميول الفطريّة، والعلوم الفطريّة، والقوى الفطريّة، لٰكن يبدو أنّ نوعًا آخر من

(1) ذكرت المصادر سبعة تقسيماتٍ للفطرة والفطريّات. [احمدی، فطرت بنیان روانشناسی اسلامی، ص 165 - 168؛ مطهری، مجموعه آثار استاد شهید مطهری، ج 6، ص 934؛ ج 3، ص 612 – 614؛ ابن سينا، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، ص 116 – 117؛ شاه آبادي، رشحات البحار، ص 116 و117؛ الشيرازيّ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج 9، ص 235 – 237؛ يزدی، مجموعه آثار حضرت آیت الله مصباح، ج 1 – 1، ص 181 و189]

الأمـور الفطريّـة مفقـودٌ بـين هٰـذه الأقسـام وهـو مـا سـمّيناه (فطـرة الانسـجام)، وسـوف نتطـرّق إليهـا فيمـا يـأتي في بحـث فطريّـة الديـن.

وعلى هٰـذا الأسـاس وبملاحظـة مـا تقـدّم مـن خصائـص للأمـور الفطريّـة، فـإنّ التقسـيمات المُختـارة للمؤلّـف هي التقسـيمين التاليـين:

1 ـ تقسـيم الأمـور الفطريّـة إلى الميـول الفطريّـة، والعلـوم الفطريّـة، والقـدرات الفطريّـة، والانسـجام الفطـريّ.

2 ـ تقسـيم الفطـريّ إلى فطريّـةٍ بالقـوّة، وفطريّـةٍ بالفعـل. [ابوتـرابی، اصـول و مبـانی امـور فطـری، ص 21 - 25][1]

ولـكي نوضّـح الحـدّ الفاصـل بين الأقسـام بشـكلٍ أكـبر؛ ينبـغي توضيح الاختـلاف بـين بعـض أقسـام الأمـور الفطريّـة وباختصـارٍ نقـول: إنّ المـراد مـن العلـم الفطـريّ هـو المعرفـة غـير الاكتسـابيّة، والعلـم الفطـريّ بنفسـه لا يسـتلزم رغبـةً ولا دافعًـا، لٰكنّـه يسـتلزم الدافـع بمعـنى النزعـة والرغبـة، ويسـتلزم نـوعًا مـن المعرفـة أيضًـا.

والمـراد مـن القـدرات الفطريّـة هي القـدرات الموجـودة في الإنسـان والّـتي ترجـع جذورهـا إلى كيفيّـة خلقـه، مـن قبيـل القـدرة على التعقّـل

(1) دليلنا على قبول التقسـيمات المختارة المذكورة هو أوّلاً: بعض التقسـيمات المطروحة في كلام الآخرين يرجع بعضها إلى بعضٍ آخر منها، ثانيًا: بعض الأقسام المذكورة في كلام بعض الفلاسفة لا يمكن إثباتها، مثلًا أنّ تقسـيم الفطرة إلى فطرة الخير وفطرة الشرّ ليس مقبولًا؛ لأنّ الإنسـان بذاته طالبٌ للكمال، وكارهٌ للنقص، وعليه فإنّ الشرّ من جهة كونه شرًّا وموجبًا للنقص لا يمكنه أن يكون مطلوبًا فطريًّا للإنسان.

والشعور، وهي أمورٌ لها جذورٌ في ذاتيّات نوع الإنسان، وتنشأ من قواه التكوينيّة، مثل القوّة العاقلة والقوّة الحاسّة. والمراد من الانسجام الفطريّ الانسجاماتُ الّتي ترجع جذورها إلى كيفيّة خلق الإنسان، من قبيل انسجام تعاليم الدين الإسلاميّ مع كيفيّة خلق الإنسان. ولهذا النوع من الفطرة سوف نوضّحها فيما يأتي بشكلٍ مفصّلٍ. والمراد من الأمور الفطريّة بالفعل هو تلك المجموعة من الأمور الفطريّة الموجودة في الإنسان فعلًا، ولها آثارٌ بالفعل. وأمّا بعض الأمور الفطريّة فمن الممكن أنْ ترتبط بمراحل من النموّ الجسديّ أو الروحيّ والعقليّ، ولا توجد في المراحل الأدنى. أي أنّها رغم ارتباطها بكيفيّة خلق الإنسان، وأنّها غير اكتسابيّةٍ، لٰكنّها لا توجد في بعض مراحل خلق الإنسان، وتوجد في مراحل أخرى من نموّ الإنسان. ولهذه المجموعة من الأمور الفطريّة سمّيناها الأمور الفطريّة بالقوّة. كما هو الحال أيضًا في غرائز الإنسان أيضًا يمكن تصوّر ما هو بالقوّة وما هو بالفعل. مثلًا غريزة الرغبة في الطعام والماء موجودةٌ عند الناس كلّهم، وفعليّةٌ في أعمارهم كلّها، لٰكنّ الغريزة الجنسيّة ليست فعليّةً في مرحلة الطفولة.

أقسام العلوم الفطريّة

بملاحظة أقسام العلم، والخصائص الّتي ذكرناها للأمور الفطريّة، فإنّ العلوم الفطريّة يمكن تقسيمها أيضًا إلى أقسامٍ فرعيّةٍ وهي:

أ ـ تقسيم العلوم الفطريّة إلى بالقوّة وبالفعل.

ب ـ تقسيم العلوم الفطرة إلى واعيةٍ وغير واعيةٍ.

جـ ـ تقسيم العلوم الفطريّة إلى حصوليّةٍ وحضوريّةٍ.

د ـ تقسيم العلوم الفطريّة إلى تصوّريّةٍ وتصديقيّةٍ.

و ـ تقسيم العلوم التصديقيّة الفطريّة إلى نظريّةٍ وعمليّةٍ.

وطبيعيٌّ أنّ القبول بهٰذه التقسيمات لا يعني أنّنا نقبل وجود هٰذه الأقسام كلّها في مرحلة الإثبات، وإنّما بمعنى أنّه يمكن تصوّرها في مقام التصوّر والثبوت، ويمكن دراسة هٰذه التقسيمات في ضوء مختلف نظريّات المفكّرين المسلمين وفلاسفة الغرب.

مصاديق الأمور الفطريّة

المقدّمة الأخرى الّتي يجب التعرّض لها في دراسة تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة وإثباتها هي: ما مصاديق الأمور الفطريّة الّتي يمتلكها الإنسان، وبعد تعيين المصاديق الفطريّة في الإنسان، سوف تتمهّد الأرضيّة اللازمة لدراسة تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة بمعانيها الستّة المتقدّمة.

بملاحظة أنّ هٰذا المقال لا يسع بحث الأمور الفطريّة كلّها وإثباتها، وأنّ دراستها بنحوٍ كاملٍ بحاجةٍ إلى تدوين كتابٍ كاملٍ بل

ربّما عدّة كتبٍ، فلا سبيل أمامنا سوى بحث هٰذا الموضوع بنحوٍ مختصرٍ، والتعرّض لأصل المطلب لا أكثر، أي ذٰلك المقدار من الأمور الفطريّة الّتي تمّ إثباتها في محلّها، أو أثبتناها نحن، فنقبل هٰذا المقدار من الأمور الفطريّة، ونقدّم لها توضيحًا مختصرًا، ونكتفي فيها بالإرجاع إلى المصادر الّتي تبحثها حولها بالتفصيل، وأمّا الموارد الّتي لا نعلم فيها مصدرًا نُرجع القارئ الكريم إليه، سنقوم ببحثها بنحوٍ أوسع من غيرها.

إنّ أهمّ الأمور الفطريّة – على أساس رؤيتنا – هي:

أ ـ السعي الفطريّ نحو الكمال.

إنّ السعي نحو الكمال هو من أوضح الأمور الفطريّة في الإنسان. وكلّ إنسانٍ بالتأمّل في ذاته يدرك بوضوحٍ أنّه يحبّ كمال نفسه. كما أنّ السعي نحو الكمال لا يتحدّد بمرتبةٍ خاصّةٍ من الكمال. فالناس بفطرتهم يحبّون الوصول إلى أعلى مراتب الكمال وأكثرها بقاءً ودوامًا. [الخمينيّ، چهل حديث، ص 156 - 158 و160]

ومن لوازم السعي نحو الكمال، السعي نحو اللذّة والهروب من الألم؛ وعليه فإنّ عدم محدوديّة نزعة الإنسان نحو الكمال، يستلزم عدم محدوديّة نزعة الإنسان نحو اللذّة؛ ولذٰلك فإنّ من فطريّات الإنسان السعي نحو اللذّة والكمال اللانهائيّ الخالد.

ب ـ السعي الفطريّ نحو الكامل، والنزعة الفطريّة نحو الله ﷻ.

إنّ حبّ الموجود الكامل هو من فطريّات الإنسان أيضًا. وأعلى مراحل هٰذا النزعة من جهة مقدارها، وكذٰلك من جهة مصداق الكمال أيضًا، هو حبّ الكامل المطلق، ومصداقه هو حبّ الله **تعالى.** [المصدر السابق؛ جوادى آملى، ده مقاله پيرامون مبدأ و معاد، ص 110]

وهٰذه النزعة إذا كانت مصاحبةً للنزعة نحو كمال الذات، فإنّها تتجلّى بصورة نزعة الإنسان نحو الارتباط بالكامل المطلق والتقرّب إليه.

الأمور الفطريّة الأخلاقيّة

من مصاديق هٰذين النوعين من السعي نحو الكمال نزعة الإنسان الفطريّة نحو محاسن الأخلاق وحبّه لها؛ لأنّ الهدف والمطلوب الأصليّ من الأخلاق هو كمال الإنسان وسعادته، وقد بيّنّا في السطور المتقدّمة أنّ الكمال والسعادة مطلوبٌ فطريٌّ للإنسان. ومن هنا يحب الناس بفطرتهم الصفات الأخلاقيّة والسلوك الأخلاقيّ؛ لأنّ الصفات والسلوكيّات الأخلاقيّة هي كمالاتٌ للإنسان وهي مطلوبٌ فطريٌّ له، والسلوكيّات الأخلاقيّة مطلوبةٌ بالغير؛ لأنّها توفّر الأرضيّة لكمال الإنسان. إذن الإنسان موجودٌ أخلاقيٌّ بالفطرة، ويحبّ الأخلاق بصورةٍ باطنيّةٍ وفي أصل خلقته. طبيعيٌّ أنّ فطريّة الأخلاق ليست بمعنى أنّ الإنسان يعرف المصاديق الأخلاقيّة كلّها بصورةٍ فطريّةٍ، ويحبّ تلك المصاديق فطرةً. وإنّما يمكن القول بصورةٍ إجماليّةٍ: إنّ طلب الكمال

وطلب الكامل كأمرٍ فطريٍّ يكون منشأً لطلب الكمال الأخلاقيّ أو هو نفسه. ولازم هٰذه الميزة الفطريّة هي أنّ الإنسان يحب أن يصبح متخلّقًا، ويحبّ الأفراد المتخلّقين أيضًا. وعليه فإنّ الموجود الأكمل أخلاقيًّا هو الأحبّ عند الإنسان. وما ذكرناه لحدّ الآن من مصاديق الأمور الفطريّة كانت من الميول والرغبات الفطريّة، لٰكن مصاديق الأمور الفطريّة الّتي سنطرحها من الآن فما بعد هي من أنواعٍ أخرى من الأمور الفطريّة.

جـ ـ العلم الفطريّ الحضوريّ بالله ﷻ

العلم الحضوريّ بالله ـ تعالى ـ هو أحد الأمور الفطريّة الّتي يمكن إثباتها في الإنسان. وحتّى لو فرضنا أنّه من خلال مراجعة الباطن لا يمكن العثور على العلم الحضوري الفطريّ بالله، لٰكنّ الأدلّة العقليّة والنقليّة (القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام) كافيةٌ لإثبات هٰذا المدّعى.

إنّ الّذين يعتقدون بالفطرة من أجل إثبات العلم الفطريّ بالله، والعلم الحضوريّ الفطريّ بالله، عادةً ما ينصحون مخاطَبيهم بالرجوع إلى باطنهم والتأمّل الشخصيّ الشهوديّ، وأحيانًا يُسندون العلم الفطريّ أو العلم الحضوريّ الفطريّ بالله ﷻ إلى الشعور الباطنيّ لدى الأفراد عند وقوع الأحداث الخطيرة وفقدان الأمل، لٰكن يبدو أنّه بالإضافة إلى ذٰلك، يمكن إثبات العلم الحضوريّ بالله ـ على مباني الملّا صدرا ـ عبر الطريق البرهانيّ المستند إلى أصلين وهما:

"المعلول عين الربط بالنسبة لعلّته"، وأنّ "معيار العلم الحضوريّ هو الاتّصال الوجوديّ بين موجودين لهما شعورٌ". [ابوترابی، علوم فطری نزد فیلسوفان غرب و اندیشمندان مسلمان، ص 372 - 380]

هٰذا بالإضافة إلى أنّه استنادًا إلى بعض التعبيرات الواردة في الروايات، قد يمكن بيان حضوريّة العلم الفطريّ بالله ﷻ؛ لأنّ بعض الروايات تُصرّح بأنّ المعرفة بالله في عالم الذرّ كانت معاينةً ومشاهدةً، وإن كان هناك بعض العلماء من كان له تفسيرٌ ورأيٌ آخر في هٰذه الروايات، ومن هٰذه الروايات الّتي تصرّح بأنّ مواجهة الإنسان لله في عالم الذرّ كانت مواجهةً على نحو "المعاينة"، ومن نوع "الرؤية"[1]، من قبيل رواية زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام الّتي جاء فيها: «قلت لابي جعفرٍ: أرأيت حين أخذ الله الميثاق على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه، كانت معاينةً منهم له؟ قال: نعم يا زرارة، وهم ذرٌّ بين يديه، وأخذ عليهم بذٰلك الميثاق بالربوبيّة له ... وأنساهم رؤيته وأثبت في قلوبهم معرفته» [العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، ج 1، ص 204؛ القمّيّ، تفسير القمّيّ، ج 1، ص 248؛ انظر: ابوترابی، علم حضوری فطری به خدا از منظر عقل ونقل، ص 22 - 34].

(1) من الواضح هنا أنّ الرؤية في مثل هذه الروايات لا يُقصد بها الرؤية بالعين الباصرة أو الرؤية المادّيّة، وإنّما الرؤية القلبيّة، وذٰلك لمّا ثبت بالعقل والنقل خاصّةً في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من استحالة رؤية الله بالعين، وإنّما الممكن هو رؤيته بالقلب وهو ما يسمّى بالرؤية الشهوديّة كما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام عندما سأله ذِعلبٌ اليمانيّ فقال: «هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أَفأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ» [نهج البلاغة: الخطبة 179]

وكذٰلك عبارة "أراهم" الواردة في روايةٍ أخرى عن زرارة في تفسير آية الميثاق تبيّن هٰذا المطلب. وقد ورد في هٰذه الرواية: "فعرّفهم نفسه، وأراهم نفسه". [العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، ج 2، ص 43؛ الكلينيّ، أصول الكافي، ج 2، ص 116؛ المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 5، ص 258]

د ـ فطريّة أصول العقائد الإسلاميّة

يرى البعض أنّ أصل التوحيد والعلم بالله وصفاته الكماليّة أمورٌ فطريّةٌ، وبعضٌ آخر يرى أنّ مباني الاعتقاد الأصليّة من قبيل التوحيد، والنبوّة، والولاية من الأمور الفطريّة. وأسس هٰذه الرؤية ترجع إلى آيتي الميثاق الكريمتين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 172 و173] وآية الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: 30]، والروايات المرتبطة بهاتين الآيتين. [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 192؛ يزدى، خداشناسى در قرآن، ص 52 و53؛ الكلينيّ، أصول الكافي، ج 2، ص 16؛ ابوترابى، علوم فطرى نزد فيلسوفان غرب و انديشمندان مسلمان، ص 415 - 423]، ومن جملة ما يمكن الإشارة إليه بخصوص فطريّة أصول العقائد الإسلاميّة ما يلي:

1. العلم الفطريّ بولاية الأنبياء والأئمة عليهم السلام

لقد ذكرت الروايات المرتبطة بآية الميثاق وعالم الذرّ ـ بالإضافة إلى معرفة الله ـ المعرفة والتصديق برسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام كلّهم إلى الإمام المهديّ عجل الله فرجه. [الكلينيّ، أصول الكافي، ج 1، ص 475 و494؛ الحلّيّ، مختصر بصائر الدرجات، ص 364 – 368 و368؛ القمّيّ، تفسير القمّيّ، ج 2، ص 155]

ومن الطبيعيّ أنّه لو لم توجد هٰذه الروايات فلا ضرورةَ للاعتقاد بأنّ علم الشخص بالأنبياء والأئمّة المعصومين فطريّ؛ لأنّه لا توجد ملازمةٌ ذاتيّةٌ بين العلم بالأنبياء فردًا فردًا في عالم الذرّ، وفطريّة الشخص. والتذكير بواقعة عالم الذرّ في يوم القيامة كافٍ للاحتجاج الإلٰهيّ.

وبالرغم من وجود هٰذه الروايات فقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد منها هو مجرّد فطريّة الشعور بالحاجة إلى النبوّة والولاية. ومن هٰؤلاء المفسّرين العلّامة الطباطبائيّ في ذيل البحث الروائيّ عن آية الفطرة إذ يقول: «وإلى هٰذا يؤوّل معنى الرواية السابقة أنّها الولاية، فإنّها تستلزم التوحيد والنبوّة، وكذا ما مرّ من تفسيره الفطرة بالتوحيد، فإنّ التوحيد هو القول بوحدانيّة الله – تعالى – المستجمع لصفات الكمال المستلزمة للمعاد والنبوّة والولاية، فالمآل في تفسيرها بالشهادات الثلاث والتوحيد والولاية واحدٌ» [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 192].

2. فطريّة الدين كلّه

ذهب بعض العلماء المسلمين إلى القول بفطريّة الدين كلّه. والأساس الأهمّ لهٰذا المُدّعى هو آية الفطرة الشريفة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: 30]، وبعض الروايات الواردة في تفسير هٰذه الآية. [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 188]

استنادًا إلى إطلاق مفهوم "الدين" يكون المراد من الدين في هٰذه الآية هو الدين كلّه. وعلى أساس ما تقدّم بيانه في مفهوم الدين، فإنّ دين الإسلام يشتمل على قسمين العقائد، والأحكام (الأوامر العمليّة). وبناءً على هٰذا فإنّه وفقًا للآية يجب عدّ جزئيّات الأحكام الفقهيّة والأخلاقيّة ـ فضلًا عن كلّيّاتها ـ فطريّةً. لٰكن بملاحظة التأويل والتضييق الملحوظ في نطاق مفهوم الدين، فإنّ "فطريّة الدين" يمكن تفسيرها بأنحاءٍ مختلفةٍ منها:

ـ هي بمعنى فطريّة أجزاء الدين كلّها، أي العقائد والأحكام العمليّة كلّها في الدين الإسلاميّ.

ـ هي بمعنى فطريّة الاعتقادات المهمّة في الدين الإسلاميّ (الأصول العامّة في العقائد الإسلاميّة).

ـ هي بمعنى فطريّة وجود الله ﷻ (التوحيد).

وما يقع موردًا لبحثنا في هٰذا القسم من المقال وقلّما تم التطرّق له بالبحث، هو بحث إمكان إثبات المعنى الأوّل وهو فطريّة أجزاء الدين كلها.

على أساس تقسيمات الفطريّ وأقسامه المعروفة، فإذا كان الدين كلّه فطريًّا وجب أن يكون الاتّجاه نحو الدين كلّه أو العلم بجميع أجزائه فطريًّا، لٰكنّ المشكلة هي أنّ فطريّة أجزاء الدين كلّها لا يمكن عدّها بسهولةٍ نوعًا من النزعة الفطريّة، أو نوعًا من العلم الفطريّ؛ لأنّه لو كان الأمر كذٰلك، فإنّه طبقًا لكون الأمور الفطريّة أمورًا عامّةً، يجب أن يكون كلّ شخصٍ قادرًا على العثور عليها في داخله[1].

وحينئذٍ فما هو العمل؟ هل يجب أن نعترّف أنّه لا سبيل لإثبات فطريّة الدين كلّه، أم يجب أن نتصدّى لتأويل الآية، أو أن نقبل فطريّة الدين تعبّدًا عن طريق الدليل النقليّ فقط؟ لٰكن الّذي يبدو هو عدم الحاجة إلى تأويل الآية الشريفة، ولا التمسّك بالتعبّد المحض، بل يمكننا من خلال إضافة قسمٍ آخر إلى الأمور الفطريّة تحت عنوان "فطرة الانسجام" أن نثبت بسهولةٍ وبالاستدلال الواضح فطريّة أجزاء الدين كلّها. إنّ القبول بفطريّة الدين كلّه وإثباتها على أساس هٰذا النوع من الفطرة سهلٌ ودقيقٌ وعمليٌّ، وليس مشروطًا بشرطٍ. ومن هنا فمن أجل إثبات فطريّة أجزاء الدين كلّها، نحن بحاجةٍ إلى التعرّض لبيان نوعٍ آخر من أقسام الأمور الفطريّة.

(1) نعم، إذا استطعنا إثبات وجود أصل النزعة أو العلم الفطريّ بجميع أجزاء الدين عن طريق العقل أو النقل، فإنّه على أساس خاصيّة عدم ضرورة فعليّة وإدراك المعطيات الفطريّة بنحوٍ واعٍ - وهو ما تحدّثنا عنه سابقًا - فلا حاجة لشهودها بالفعل شهودًا باطنيًّا.

فطرة الانسجام (نوعٌ آخر من الأمور الفطريّة)

بالإضافة إلى الأقسام الثلاثة المتقدّمة للفطريّات أي: النزعات الفطريّة، والعلوم الفطريّة، والقوى الفطريّة ـ والّتي وردت في كلام الآخرين أيضًا ـ يبدو أنّه يمكن ملاحظة وجود نوعٍ آخر من الفطرة، ويمكن إطلاق الفطرة عليه بالمعنى المتبادر منها، لٰكنّها ليست من نوع العلوم، ولا النزعات، ولا القوى الفطريّة، بل هي حاكيةٌ عن الاعتقادات، والأوامر العمليّة، والعلوم المطابقة لنحوٍ خاصٍّ من الخِلقة. وفي ضمن هٰذا المعنى نحن نسعى إلى بيان حقيقةٍ، وهي أنّه إذا كانت مجموعةٌ من الاعتقادات والأوامر العمليّة منسجمةً مع خِلقة موجودٍ، وأنّ التصديق بها والعمل وفقها يؤدّي إلى نموّ ذٰلك الموجود وكماله، فإنّ هٰذه الاعتقادات والأوامر العمليّة تعدّ فطريّة لذٰلك الموجود، أي منسجمةً مع نوع خِلقته، وهٰذا النوع من الفطرة هي الّتي سمّيناها (فطرة الانسجام). إنّ فطريّة الدين طبقًا لهٰذا المعنى تقتصر على معنًى واحدٍ وهو انسجام الاعتقادات مع نوع خِلقة الإنسان، ومعنى الانسجام هو أنّ كيفيّة خِلقة الإنسان وطبيعة هٰذه الاعتقادات والسلوكيّات تكون بنحوٍ يقتصر وصول الإنسان إلى أعلى درجات الكمال الممكنة له، على الاعتقاد بهٰذه الاعتقادات والعمل بهٰذه الأوامر. كما أنّ نوع خِلقة الشجرة هي أنّها لا تنمو إلّا بتوفّر الماء، والتراب، والسماد المناسب، وخِلقتها لا تتناسب مع موادّ من قبيل الإسمنت والنفط، فكذٰلك خِلقة الإنسان بنحوٍ لا يتحقّق فيه كماله إلّا عن طريق الاعتقادات،

والسلوكيّات والنوايا الخاصّة، وهٰذه الشروط ترتبط بكيفيّة خِلقة الإنسان، أي أنّها ليست أمورًا اكتسابيّةً، وإنّما هي فطريّةٌ.

وفطريّة أجزاء الدين كلّها في هٰذا القسم من الأمور الفطريّة أمرٌ مبنيٌّ على الأدلّة العقليّة وصفات الله الكماليّة، ومنها حكمة الله، والأدلّة العقليّة والنقليّة على حقّانيّة الدين الإسلاميّ، وليس بحاجةٍ إلى شيءٍ آخر.

ويبدو أنّ العلّامة الطباطبائيّ قد اختار هٰذا التفسير لفطريّة الدين. فهو في تفسير الميزان من أجل تبرير فطريّة الدين يذكر مطالب تفتح السبيل لفهم هٰذا النوع من الفطرة، فهو في يصرّح آية الفطرة بأنّ الإنسان خُلِق بكيفيّةٍ خاصّةٍ تهديه إلى نهجٍ خاصٍّ في الحياة، وأن للإنسان هدفًا محددًا، وهناك طريقٌ معيّنٌ لا يمكن الوصول إلى الهدف إلّا من خلال سلوكه، وأساس برامج الدين ترجع جذورها إلى حقيقة الإنسان وتكوينه، وهٰذا التكوين واحدٌ وثابتٌ ومشتركٌ بين الناس كلّهم، والمراد من ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ هو ذٰلك. [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 179 و189 – 193]

سائر الأمور الفطريّة لدى الإنسان

ربّما لا تنحصر فطريّات الإنسان بالموارد المتقدّمة، فمن الممكن اكتشاف مصاديق أخرى للأمور الفطريّة غير الّتي ذكرناها، ولٰكن يبدو أنّه لو أمكن إثبات وجود أمرٍ فطريٍّ آخر مرتبطٍ

بمعارف الدين، فإنّه يرجع إلى ما تقدّم ذكره من فطريّاتٍ مرتبطةٍ بالدين، وإذا أمكن اكتشاف فطريٍّ آخر من غير الأمور الدينيّة وغير المعارف الدينيّة، فإنّه يمكن إرجاعه بنحوٍ ما إلى السعي وراء الكمال أو وراء الكامل.

3. تأثير الأمور الفطريّة في المعارف الدينيّة

ما هو المراد من تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة؟ إنّ تأثير الفطرة في المعرفة الدينيّة يمكن استعماله في معنيين: أحدهما تأثيره في إيجاد التعاليم الدينيّة ومنحها الشموليّة، والآخر هو تأثير الفطرة في معرفة الإنسان للدين. والمراد تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة في هٰذا المقال هو المعنى الثاني. وتأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة بالمعنى الثاني يمكن أن يُستعمل في معنيين أيضًا أحدهما التأثير الإيجابيّ والآخر السلبيّ. والتأثير الإيجابيّ للفطريّات في المعرفة الدينيّة يعني تأثير الأمور الفطريّة في إيجاد المعرفة الدينيّة، أو تقويتها، والتأثير السلبيّ يعني إزالة المعرفة الدينيّة أو إضعافها بسبب تلك الأمور الفطريّة. ورغم وجود شبهاتٍ في مجال التأثير السلبيّ للفطريّات في المعرفة الدينيّة، وهٰذه الشبهات يجب بحثها في المحلّ المناسب، لٰكنّنا سنقتصر في هٰذا المقال على بحث التأثير الإيجابيّ للفطريّات لسببين: الأوّل: أنّ تعميم التأثير إلى التأثير السلبيّ بحاجةٍ إلى تعميمٍ في المعنى، والثاني: أنّ البحث في التأثير السلبيّ يحتاج إلى مجالٍ مستقلٍّ.

أنواع التأثير على أساس معاني المعرفة وأقسامها

من أجل فهم المراد من تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة يجب الالتفات أيضًا إلى أنّ هٰذا التأثير يمكن أن يكون له مصاديق كثيرةٌ تبعًا لاختلاف معاني المعرفة وأقسامها.

في ضوء ما تقدّم في بحث معنى المعرفة، وأقسامها، وفي بحث مراتب التصديق في مجال معارف الدين، فإنّ تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة يمكن بحثه في ستة معانٍ ومصاديق من معارف الدين:

أ ـ تأثير الفطرة في المعرفة الحضوريّة.

ب ـ تأثير الفطرة في المعرفة الحصوليّة التصوّريّة.

جـ ـ تأثير الفطرة في المعرفة الحصوليّة التصديقيّة بالمعنى المنطقيّ.

د ـ تأثير الفطرة في التصديق بمعنى أصل الإيمان (ولا يلازم ذٰلك العمل بالضرورة).

هـ ـ تأثير الفطرة في التصديق بمعنى مرتبةٍ معيّنةٍ من الإيمان وهو الملازم للعمل.

و ـ تأثير الفطرة في المعرفة بمعنى المرتبة العالية من كمال النفس الأخلاقيّ.

مصاديق تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة

إنّ المقدّمات الّتي ذكرناها حتّى الآن تمهّد لنا الأرضيّة اللازمة للدخول في بحث الأمور الفطريّة في معارف الدين بنحوٍ تامٍّ، ومن

هنا نستطيع من الآن فصاعدًا التعرض لدراسة دائرة الأمور الفطريّة وتأثيرها في المعرفة الدينيّة.

علاقة الأمور الفطريّة بالمعرفة الدينيّة

بملاحظة المصاديق الّتي ذكرناها للأمور الفطريّة عند الإنسان، يمكن تقسيم فطريّات الإنسان إلى فئتين: الفئة الأولى: بعضها معارف يكون متعلّقها التعاليم الدينيّة نفسها. وفيما يرتبط بهٰذه المصاديق - باستثناء موارد قليلةٍ منها - فنحن في غنًى عن البحث المباشر حول تأثيرها؛ لأنّ وجود هٰذه الأمور الفطريّة يمثّل المعرفة الدينيّة نفسها وهي مصاحبةٌ للتديّن. وعلى هٰذا الأساس يمكن أن يُقال إنّ جميع ما تمّ بيانه لحدّ الآن في توضيح النزعة الفطريّة نحو الموجود الكامل المطلق (النزعة الفطريّة نحو الله) وإثباتها، والعلم الحضوريّ الفطريّ بالله ﷻ، والعلم الفطريّ بأصول العقائد، والعلم الفطريّ بولاية الأنبياء عليهم السلام، والعلم الفطريّ بولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام، والعلم الفطريّ بأجزاء الدين كلّها، كان في الواقع بيانًا لتأثير الأمور الفطريّة المباشر في معارف الدين؛ لأنّه على أساس ما تقدّم لو لم تكن الأمور الفطريّة موجودةً، فإنّ معرفة الإنسان بالدين وأجزائه ستكون أقلّ بكثيرٍ ممّا هي عليه الآن.

طبيعيٌّ أنّ هناك مطالب أخرى فيما يرتبط بالأمور الفطريّة الدينيّة الّتي بيّنّا مصاديقها فيما سبق، ونرى أنّ الأنسب طرحها

في ذيل عنوان تأثير الأمور الفطريّة في المعارف الدينيّة، ومن هنا سنتعرّض لها فيما يأتي من بحثٍ.

وأمّا الفئة الثانية فهي مصاديق من الأمور الفطريّة لا تكون التعاليم الدينيّة نفسها مُتعلَّقًا مباشرًا لها، وفي هٰذه الموارد يجب أن ندرس ارتباط الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة وتأثيرها فيها. وفي ضوء هٰذا الأمر ينبغي التنبيه إلى بعض الأمور ترتبط بتأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة من النوع الأوّل:

1. ارتباط الأمور الفطريّة والمعارف الدينيّة في الروايات

هناك فئتان من الروايات في مجال ارتباط تأثير الأمور الفطريّة في المعرفة الدينيّة وهما:

الفئة الأولى: الروايات الّتي تشير إلى حقيقةِ أنّه لو لم تحدث واقعة عالم الذرّ، لم يكن أحدٌ ليعرف ربّه وخالقه ورازقه، ولن يدرك أحدٌ وجود الله تعالى. وتؤيّد هٰذه الفئة من الروايات، فئةٌ أخرى تشير إلى أنّ أثر واقعة عالم الذرّ وهي المعارف الدينيّة، بقيت واستمرّت في حياة الإنسان الدنيويّة، وما تزال موجودةً حتّى الآن، رغم أنّ الناس أنفسهم لا يستطيعون تذكّر واقعة عالم الذرّ. ومن جملة هٰذه الروايات ما عن زرارة أنّه قال: «قلتُ له (الإمام الباقر عليه السلام): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ...﴾ قال: ثبتتِ المعرفةُ ونسوا الموقف» [العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، ج 2، ص 43]. وكذٰلك رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «فأثبَت المعرفة في قلوبهم، ونسوا ذٰلك الميثاق، وسيذكرونه بعد،

ولـولا ذٰلـك لـم يـدْرِ أحـدٌ مـن خالقـه، ولا مـن رازقـه» [المصدر السابق، ص 42؛ القمّـيّ، تفسـير القمّـيّ، ج 1، ص 248]. وعـن هٰـذا الطريـق رُويـت هٰـذه الروايـة أيضًـا: «قـال فطرهـم على التوحيـد عنـد الميثـاق على معرفتـه أنّـه ربّهـم، قلـتُ: وخاطبـوه، قـال فطأطـأ رأسـه ثـمّ قـال، لـولا ذٰلـك لـم يعلمـوا مـن ربّهـم، ولا مـن رازقهـم» [الصـدوق، التوحيـد، ص 330].

الفئـة الثانيـة: الّـتي تبـيّن بوضـوحٍ تأثـير الأمـور الفطريّـة في المعرفـة الدينيّـة، ويمكـن الاستشـهاد للفئـة الثانيـة بالروايـات المرويّـة عـن رسـول الله ﷺ إذ يقـول: «كلّ مولـودٍ يـولد على الفطـرة حـتّى يكـون أبـواه همـا الـلذان يهوّدانـه وينصّرانـه ويمجّسـانه» [الطـبرسيّ، مجمـع البيـان لعلـوم القـران، ج 8، ص 63].

فهٰـذه الفئـة مـن الروايـات تُبـيِّن تأثـير الأمـور الفطريّـة في المعرفـة الدينيّـة، وخاصّـةً إذا التفتنـا إلى أنّـه في ضـوء الروايـات، فـإنّ آيـة الفطرة والآيـات الأخـرى المرتبطـة بالفطـرة الدينيّـة نفسـها، تُعـدُّ بيانًـا للحقائق المتربطـة بعالـم الذرّ.

2. على أسـاس المبـنى الّذي تـمّ إثباتـه في علـم نظريّـة المعرفـة، فـإنّ كلّ علـمٍ حضـوريٍّ بصـورةٍ آليّـةٍ (بنحـوٍ لا واعٍ وغـير اختيـاريٍّ) يعكـس علمًـا حصوليًّـا يقينيًّـا مطابقًـا لذٰلـك العلـم الحضـوريّ [يـزدى، آمـوزش فلسـفه، ج 1، ص 237]. وبنـاءً عليـه فـإنّ العلـم الحضـوريّ الفطـريّ بـالله الّذي يمكـن إثباتـه بالدليـل العقـليّ والنقـليّ، مسـتلزمٌ للعلـم اليقيـنيّ بقضيّـة «الله موجـودٌ». وهٰـذا المطلـب يشـتمل على حقيقـةٍ وهي أنّ العلـم

التصديقيّ اليقينيّ بوجود الله ـ وهو من أهمّ مباني المعارف الدينيّة ـ يُعَدُّ من النتائج والتأثيرات المباشرة للعلم الحضوريّ والفطريّ بالله، وهو ما يمهِّدُ الأرضيّة للإيمان بالله وبسائر المعارف الدينيّة.

إنّ انعكاس العلم الحصوليّ المطابق للعلم الحضوريّ في الذهن يمكن أن تُذكر له ثلاثة أدلّةٍ، الأوّل: أنّ الإنسان يمكنه من خلال الاستفادة من المفهوم وتشكيل "القضيّة" أن يفهم علمه الحضوريّ ويصدّق به، وأن ينقل بالألفاظ هٰذا الفهم إلى الآخرين. الثاني: يستطيع الإنسان العالِمُ بالعلم الحضوريّ أن يقايس بين علومه الحضوريّة في زمانٍ واحدٍ أو زمانين، والمقايسة لا يمكن تحقّقها إلّا عن طريق المفاهيم. الثالث: يستطيع الإنسان أن يستذكر العلوم الحضورية الّتي حصلت له في الماضي بعد زوالها، والاستذكار ليس سوى رجوع المفاهيم إلى الذهن. وفيما يرتبط بانعكاس العلم الحضوريّ بصورة علمٍ حصوليٍّ يقينيٍّ مطابقٍ للواقع، يجب الالتفات إلى هٰذا المطلب أيضًا، وهو أنّ حصول هٰذا الانعكاس آليًّا هو عبارةٌ عن المسار الطبيعيّ لعلاقة الذهن بالعلم الحضوريّ، ويمكن أن يتعرّض للخلل في بعض الموارد. وربّما لا يتحقّق هٰذا الانعكاس بصورةٍ دقيقةٍ بسبب ضعف العالِم وضعف المعلوم الّذي غالبًا ما يرجع إلى ضعف العالِم. بل ربّما يُنكِر العالِم بالعلم الحضوريّ علمَه الحضوريّ وعلمَه الحصوليّ الناشئ عنه، أو يشتبه عليه فهمه ويختلط بتفسيراتٍ خاطئةٍ ناشئةٍ عن علومٍ حضوريّةٍ أخرى. كما هو الحال في علم النفس بذاتها، فإنّه من الممكن أن يُنكر شخصٌ

علمه الحضوريّ بذاته، أو يرى أنّ إدراك نفسه ما هو إلّا إدراك جسده. وفي مثل هٰذه الموارد فإن ما يُفهم ويُبيّن على أنّه انعكاسٌ للعلم الحضوريّ، ليس في الواقع انعكاسًا لذٰلك العلم الحضوريّ.

كلّ ما تقدّم كان يدور حول الأمور الفطريّة الّتي تكون متعلّقاتها التعاليم الدينيّة نفسها، ومن هنا فصاعدًا سنبحث حول تأثير الأمور الفطريّة الّتي ليست من نوع المعارف الدينيّة في المعرفة الدينيّة.

تأثير السعي نحو الكمال في المعرفة الدينيّة

كما تقدّم فإنّ السعي وراء الكمال هو أحد الأمور الفطريّة عند الإنسان، وبما أنّه وفقًا لاعتقاداتنا الدينيّة يُعَدُّ كمال الإنسان هدفًا أصليًّا لخلق الإنسان، وهو الهدف وراء إرسال الرسل وإنزال الكتب السماويّة من قِبل الله سبحانه؛ يمكن القول إنّ فطرة السعي وراء الكمال في الإنسان هي المبنى الأساسي للمعارف الدينيّة كلّها؛ لأنّ السعي وراء الكمال يحقّق الهدف الّذي يسعى الدين لتحقيقه؛ وعليه فإنّ وجود هٰذا الأمر الفطريّ في الإنسان يكون أوّلًا: منشأً للبحث عن الدين، وثانيًا: يمهّد الأرضيّة لمعرفة طريق الهداية والعمل بالدين. أي أنّ السعي وراء الكمال هو منشأ المعرفة التصوّريّة، ثمّ بعدها المعرفة التصديقيّة للدين، وبعدها للإيمان بالإسلام، ويستتبع ذٰلك العمل بأحكام الدين، والعمل بالدين يمهّد السبيل أمام الإنسان للوصول إلى أسمى معاني المعرفة وأشدّها خصوصيّةً ـ وهي الكمالُ عينه ـ ويضع الإنسان في طريق الكمال اللانهائيّ.

لٰكن يجب الالتفات إلى أنّ السعي وراء الكمال ليس علّةً تامّةً للبحث عن الدين، والبحث عن الدين أيضًا ليس علّةً تامّةً للإيمان، والإيمانُ كذٰلك ليس علّةً تامّةً للعمل. إذن لا ينبغي توقّع أنّ السعي وراء الكمال يستلزم بالضرورة الإيمان والتديّن والعمل بالدين. ومن الطبيعيّ أنّ السعي وراء الكمال حتّى لو لم ينته إلى التديّن والعمل بالدين، يمكن أن يمهّد أمام الإنسان الأرضيّة لنيل الفضائل الأخلاقيّة الإنسانيّة، والفضائل الأخلاقيّة بدورها تمهّد الأرضيّة المناسبة للبحث عن الدين، والتصديق به والعمل بتعاليمه.

تأثير السعي وراء الكامِل في المعرفة الدينيّة

إنّ السعي وراء الكامِل هو من الأمور الفطريّة لدى الإنسان، بمعنى أنّ حبّ الإنسان للكمال لا يقتصر على حبّه لكمال ذاته، بل إنّه أيضًا يحبّ كمال الموجودات الأخرى الّتي تتمتّع بالكمال. ومن مصاديق هٰذه النزعة الشعورُ بالصِغر أمام الأشخاص ذوي الفضيلة، والميل للارتباط بهم والقرب منهم، وعلى هٰذا الأساس كلّما كان الموجود الآخر أشدّ كمالًا كان محبوبًا بنحوٍ أشدّ عند الناس، وتزداد الرغبة للتقرّب منه. وهٰذه النزعة الفطريّة إذا وُضعت في المسار الصحيح، فإنّ نتيجتها لن تكون سوى الاتّجاه نحو الله تعالى؛ لأنّه الكامل المطلق وفقًا للأدلّة العقليّة. وعليه فإنّ هٰذه النزعة الفطريّة عند الإنسان تمهّد كذٰلك الأرضيّة لفهم النزعة نحو التعاليم الدينيّة والتصديق بالدين، وبما أنّ النزعة نحو

الفضائـل الأخلاقيّـة ترجـع جذورهـا أيضًـا إلى النزعـة الفطريّـة نحـو الكمـال والكامـل، والفضائـل الأخلاقيّـة على علاقـةٍ وثيقـةٍ ومبـاشرةٍ بالمعرفـة الدينيّـة، فمـن هٰـذه الجهـة تلعـب الأمـور الفطريّـة دورًا مؤثّـرًا في المعرفـة الدينيّـة أيضًـا.

وبنـاءً على مـا تقـدّم، فـإنّ الأمـور الفطريّـة تكـون في الخطـوة الأولى عامـلًا للالتفـات إلى الديـن والفضائـل الأخلاقيّـة، ثـمّ تصبـح سـببًا للبحـث حـول الديـن والمعرفـة الدينيّـة، وتنشـأ عنهـا معرفـةٌ حصوليّـةٌ بالديـن، وفي الخطـوة التاليـة تصبـح منشـأً للتصديـق المنطـقيّ بالديـن (الاعتقـاد بالديـن)، وفي المرحلـة التاليـة تصبـح منشـأً للإيمـان، ثـمّ منشـأً للعمـل، ومـن خـلال العمـل تتوفّـر الأرضيّـة للمعرفـة الأعلى والكمـال الأسـمى. والأمـور الفطريّـة المتقـدّم ذكرهـا أحيانًـا تكـون منشـأً لإيجـاد المعرفـة، وأحيانًـا أخـرى منشـأً لخلـق الدافـع والإرادة.

موانع تأثير الأمور الفطريّة

لا ينبـغي أن ننـسى أنّـه في أكـثر المراحـل والمراتـب المذكـورة لتأثـير الفطـرة في المعرفـة، لا تكـون الأمـور الفطريّـة علّـةً تامّـةً لتلـك المرتبـة. نعـم، العلـم الفطـريّ الحضـوريّ يجـب أن يسـتتبعه علـمٌ حصـوليٌّ يقيـنيٌّ بوجـود الله، لٰكـن بملاحظـة أنَّ الأمـور الفطريّـة لا تكـون دائمًـا واضحـةً، واعيـةً، وبالفعـل، وبملاحظـة وجـود عوامـل عديـدةٍ خارجيّةٍ أو داخليّـةٍ - مـن هـوى النفـس، وشـياطين الجـنّ والإنـس - تخلـق موانع مـن تأثـير الأمـور الفطريّـة، فربّمـا لا ينتـهي العلـم الحضـوريّ والفطريّ بـالله ﷻ إلى علـمٍ حصـوليٍّ واعٍ بـالله والديـن، وقـد لا ينتـهي إلى الإيمـان.

هٰـذا بالإضافـة إلى أنّ فقـدان الإدراك الحصـوليّ الواضـح والدقيـق بمـا يُنـال بصـورةٍ حضوريّـةٍ، قـد يصبـح منشـأً لاختـلاط المصاديـق، وحلول الخاطئـة محـلّ الصحيحـة، مـن قبيـل أن توضـع الأوثـان مـكان الله؛ لأنّ ضعـف العلـم الحضـوريّ، وضعـف العالِـم بالعلـم الحضـوريّ، يمكـن أن يـؤدّي إلى فهـمٍ خاطـئٍ للعلـم الحضـوريّ. هٰـذا بالإضافـة إلى أنّـه على أسـاس الآيـات الكريمـة مـن القـرآن الكريـم، ومنهـا الآيـة 16 مـن سـورة طٰـهٰ[1]، يتّضـح أنّ وجـود هـوى النفـس بجنـب السـعي وراء الكمـال والسـعي وراء المطلـق، يمنـع تأثـير الأمـور الفطريّـة في المعرفـة، ويمنـع تأثـير المعرفـة في الإيمـان، ويمنـع تأثـير الإيمـان في العمـل.

الحاجة إلى الوحي والتعقّل

لا ينبـغي الغفلـة عـن أنّ فطريّـات الإنسـان، بـل وفطريّاتـه الدينيّـة، لا تشـتمل على علـمٍ ونزعـةٍ نحـو المعـارف الدينيّـة كلّهـا. بـل إنّ فطريّـة العلـم والنزعـة نحـو المعـارف الاعتقاديّـة والأخلاقيّـة كلّهـا ممّـا لا يمكـن إثباتـه أيضًـا. وأمّـا فطريّـة الديـن كلّـه بالمعـنى الّذي تـمّ إثباتـه ـ أي بمعـنى فطـرة الانسـجام ـ فـهي تعـني انسـجام خِلقـة الإنسـان مـع المعـارف الدينيّـة كلّهـا لا أكـثر، ولا يسـتلزم ذٰلـك العلـم والنزعـة نحـو معـارف الديـن كلّهـا. وبنـاءً عليـه فـإنّ الأمـور الفطريّـة بـكلّ معانيهـا وأقسـامها لا تُغـني الإنسـان مطلقًـا عـن التعقّـل والـوحي في مجـال الوصـول إلى معـارف الديـن.

(1) وهي قوله تعالى: ﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾.

النتيجة

يمكن من خلال ما تقدّم الوصول إلى هٰذه النتيجة: إنّ جذور الكثير من معارف الإنسان الأساسيّة ومعارفه الدينيّة ترجع إلى الأمور الفطريّة الموجودة لدى النوع الإنسانيّ. وهٰذه الأمور الفطريّة تمهّد الأرضيّة لهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم، والحياة الطيّبة، والسعادة الأبديّة. كما أنّ وجود الأرضيّات اللازمة لهداية البشر في كيفيّة خلقه، تمثّل من جهةٍ علاماتٍ على خِلقة الإنسان الحكيمة والهادفة، وتُعدُّ طريقًا لمعرفة الله ـ تعالى ـ وصفاته الكمالية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 115] وتوضّح تكليفنا الإنسانيّ والأخلاقيّ تجاه معرفة الذات ومزيدٍ من العناية بأمورنا الفطريّة من جهةٍ أخرى؛ لأنّ معرفة الذات تمثّل طريقًا لمزيدٍ من معرفة الحقّ ﷻ بنحوٍ أعمق، وارتباط الإنسان بالله، وهٰذا الارتباط نفسه يُعدُّ طريقًا أيضًا لانطلاق مسير الإنسان في طريق الحقّ وابتعاده عن سبيل الانحراف والضلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: 105].

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

1. ابـن الأثـير، مجـد الديـن المبـارك محمـد الجـزري، النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر، تحقيـق عبـد الحميـد هنـداوي، المكتبـة العصريـة، صيـدا - بـيروت، 1426هـ.
2. ابـن بابويـه القمّـيّ (الشـيخ الصـدوق)، محمـد بـن عـلي بـن الحسـين، التوحيـد، تصحيـح وتعليـق السـيد هاشـم الحسـيني الطهـراني، مؤسسـة النـشر الإسـلامي التابعـة لجماعـة المدرسـين بقـم، 1416 هـ.
3. ابن خالد الحلي، الحسين، مختصر بصائر الدرجات، دار المفيد، بيروت، 1423هـ.
4. ابـن سـينا، الحسـين بـن عبـد اللـه، الاشـارات والتنبيهـات، شرح نصـير الديـن الطـوسي، وشرح الـشرح لقطـب الديـن الـرازي، نـشر البلاغـة، قـم، 1375ش.
5. ابـن سـينا، الحسـين بـن عبـد اللـه، الشـفاء، البرهـان، تصديـر ومراجعـة إبراهيـم مدكـور، تحقيـق أبـو العـلا عفيفـي، منشـورات مكتبـة آيـة اللـه العظمـى المرعـشي النجفـي، قـم، 1404 هـ.
6. ابـن سـينا، الحسـين بـن عبـد اللـه، الشـفاء، البرهـان، تصديـر ومراجعـة إبراهيـم مدكـور، تحقيـق أبـو العـلا عفيفـي، منشـورات مكتبـة آيـة اللـه العظمـى المرعـشي النجفـي، قـم، 1404 هـ.
7. ابـن سـينا، الحسـين بـن عبـد اللـه، النجـاة مـن الغـرق في بحـر الضـلالات، تقديـم وتصحيـح محمدتقـي دانشـپژوه، مؤسسـه انتشـارات و چـاپ دانشـگاه تهـران، طهـران، 1364 ش.
8. ابـن سـينا، الحسـين بـن عبـد اللـه، النفـس مـن كتـاب الشـفاء، تحقيـق حسـن حسـن زاده آمـلي، مكتـب الإعـلام الإسـلامي (مركـز النـشر الإسـلامي)، قـم،1417 هـ.
9. ابـن فـارس، أبـو الحسـين أحمـد، معجـم مقاييـس اللغـة، الطبعـة الجديـدة، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، 1429 هـ.
10. ابـن منظـور، جـمال الديـن محمـد، لسـان العـرب، طبعـة ملوّنـة، دار إحيـاء الـتراث العـربي (مؤسسـة التاريـخ العـربي)، بـيروت.

11. ابوتـرابی، احمـد، «علـم حضـوری فطـری بـه خـدا از منظـر عقـل ونقـل» در فصلنامـه علمـی ـ پژوهشـی حکمـت اسـلامی، شـماره 13، سـال چهـارم، 1396 ش.

12. ابوتـرابی، احمـد، اصـول و مبانـی علـوم فطـری، انتشـارات مؤسسـه آموزشـی و پژوهشـی امـام خمینـی، قـم، 1395 ش.

13. ابوتـرابی، احمـد، علـوم فطـری نـزد فیلسـوفان غرب و اندیشـمندان مسـلمان. انتشـارات موسسـه آموزشـی و پژوهشـی امـام خمینـی، قـم، چـاپ یکـم، 1397 ش.

14. احمدی، علی اصغر، فطرت بنیان روانشناسی اسلامی، امیر کبیر، تهران، 1362 ش.

15. آملـی، سـیدحیدر، جامـع الأسرار ومنبـع الأنـوار، مـع رسـالة نقـد النقـود، تصحیـح و مقدمـه هـنری کربـن و عثـمان اسـماعیل عیـسی، ترجمـه سـیدجواد طباطبایـی، چـاپ دوّم، انجمـن ایرانشناسـی فرانسـه و شرکـت انتشـارات علمـی و فرهنگـی، تهـران ، 1368 ش.

16. جوادی آملی، عبدالله، ده مقاله پیرامون مبدأ ومعاد، چاپ سوم، انتشارات الزهراء، 1372 ش.

17. جـوادی آملـی، عبداللـه، فطـرت در قـرآن، تنظیـم و ویرایـش محمـد رضـا مصطفـی پور، در: تفسـیر موضوعـی قـرآن کریـم، چاپ سـوّم، مرکـز نـشر اسراء، قـم، 1384 ش.

18. حسـین زاده، محمـد، درآمـدی بـر معرفـت شناسـی و مبانـی معرفـت دینـی، چـاپ دوم، انتشـارات مؤسسـه آموزشـی پژوهشـی امـام خمینـی، قـم، 1386ش.

19. الخمینـيّ، روح اللـه الموسـويّ، چهـل حدیـث، چـاپ دوّم، مرکـز نـشر فرهنگـی رجـاء، تهـران، 1368 ش.

20. الراغـب الأصفهـانيّ، الحسـين بـن محمـد، المفـردات في غريـب القـرآن، تحقيـق وضبـط إبراهيـم شـمس الديـني، الطبعـة الأولى، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، 1430 هــ

21. السـهروردي (شـيخ الإشراق)، شـهاب الديـن يحيـي بـن حبـش، «رسـالة في اعتقـاد الحكـماء»، در: مجموعـه مصنفـات شـيخ اشراق، تصحيـح وتقديـم هانـري كربـن، چـاپ چهـارم، پژوهشـگاه علـوم انسـانی و مطالعـات فرهنگـی، تهـران، 1388 ش.

22. السهروردي (شيخ الإشراق)، شهاب الدين يحيي بن حبش، «كتاب حكمة الاشراق»، در: مجموعه مصنفات شيخ اشراق، تصحيح وتقديم هانري كربن، چاپ چهارم، پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى، تهران، 1388 ش.

23. شاه آبادى، محمدعلى، رشحات البحار، تصحيح، تحقيق وترجمه زاهد ويسى، چاپ يكم، پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامى، تهران، 1386 ش.

24. الشيرازي، صدر الدين محمد، «رسالة التصور والتصديق» في: رسالتان في التصور والتصديق، تحقيق مهدي شريعتي، مؤسسه اسماعيليان، قم، 1416 هـ

25. الشيرازي، صدر الدين محمد، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981 م.

26. الشيرازي، صدر الدين محمد، شرح أصول الكافي، تصحيح محمد خواجوي، موسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگى، تهران، 1366 ش.

27. شيرازي، قطب الدين محمود، درة التاج، تصحيح سيد محمد مشكوة، چاپ سوم، انتشارات حكمت، تهران، 1369ش.

28. الطباطبائي، السيد محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390 هـ

29. الطباطبايي، السيد محمدحسين، نهاية الحكمة، تصحيح وتحقيق غلامرضا فياضي، انتشارات مؤسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى، قم، 1385 ش.

30. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، القاهرة، 1394 هـ

31. الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، الطبعة الثانية، المكتبة المرتضويّة، طهران، 1362ش.

32. الطـوسي، الخواجـة نصـير الديـن، «تعديـل المعيـار فـى نقـد تنزيـل الأفـكار»، در: منطـق ومباحـث الفـاظ، بـه كوشـش مهـدى محقـق و توشـى هيكـو ايزوتسـو، مؤسسـه انتشـارات و چاپ دانشگاه تهران، تهران، 1370 ش.

33. الطـوسي، الخواجـة نصـير الديـن، تجريـد المنطـق، الطبعـة الأولى، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، 1408 هـ.

34. العيـاشي، محمـد بـن مسـعود ابـن عيـاش السَـلَمي السـمرقندي، تفسـير العيـاشي، تصحيـح وتعليـق السـيد هاشـم الرسـولي المحلاتي، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، الطبعـة الأولى، بـيروت، 1411 هـ.

35. القمـي، عـلي بـن إبراهيـم، تفسـير القمـي، تصحيـح وتعليـق وتقديـم السـيد طيـب الموسـوي الجزائـري، الطبعـة الثانيـة، منشـورات مكتبـة الهـدى (انتشـارات كتابفروشـى علامـه قـم)، النجـف، 1387 هـ.

36. الكلينـي، محمـد بـن يعقـوب، أصـول الـكافي، تحقيـق الشـيخ محمـد جـواد الفقيـه، فهرسـة وتصحيـح يوسـف البقاعـي، دار الأضـواء، بـيروت، 1413 هـ.

37. المجلـسي (العلامـة المجلـسي)، محمدباقـر، بحـار الأنـوار الجامعـة لأخبـار الأئمـة الأطهـار، تصحيـح وتحقيـق لجنـة مـن العلـماء، الطبعـة الثالثـة، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت.

38. مجمـع اللغـة العربيـة، المعجـم الوسـيط، الطبعـة الرابعـة، مكتبـة الـشروق الدوليـة، القاهـرة، 1425 هـ.

39. مركـز پژوهشـى دائرةالمعـارف علـوم عقلـى اسـلامى، اصطلاحنامـه فلسـفه اسـلامى، چـاپ اول، انتشـارات مؤسسـه آموزشـى و پژوهشـى امـام خمينـى، قـم، 1395ش.

40. مصبـاح يـزدى، محمدتقـى، آمـوزش فلسـفه، چـاپ هشـتم، سـازمان تبليغـات اسـلامى، شركـت چـاپ و نـشر بـين الملـل، تهـران، 1377 ش.

41. مصباح یزدی، محمدتقی، به سوی خودسازی، چاپ چهارم، موسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی، قم، 1384 ش.

42. مصباح یزدی، محمدتقی، خداشناسی در قرآن، در: مجموعه آثار حضرت آیت الله مصباح (مشکات)، معارف قرآن (خداشناسی، کیهان شناسی، انسان شناسی)، چاپ چهارم، مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی، قم، 1391 ش.

43. مصباح، مجتبی و دیگران، معرفت شناسی، چاپ یکم، انتشارات مؤسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی، قم، 1397 ش.

44. مطهری، مرتضی، مجموعه آثار استاد شهید مطهری، صدرا، تهران - قم، 1381.

45. النسفي، عز الدين، الإنسان الكامل، تصحيح و مقدمه فرانسوی ماریژان موله، چاپ دوم، انجمن ایران‌شناسی فرانسه در تهران، تهران، 1359 ش.

46. Dancy, Jonathan, Ernest, Sosa (eds.) , 1992, A Companion to epistemology, First Published, Blackwell, Great Britain-USA.

47. Lock, John, 1979, An Essay Concerning Human Understanding, Edited with An Introduction, Critical apparatus and Glossary by Peter H. Nidd itch, Oxford at the Clarendon Press, Great Britain.